



رجاء الشعب والشباب



التيفو محرك للمتعة

أناشيد الشباب في الملاعب تعبيرات فنية عن مطالبهم

شعارات الألتراس المغربي.. تداخل حذر بين السياسي والرياضي في شكل نقد للواقع المعيش

الجديدة بما يضمن له جانبية التأثير والفاعل، مشيرة إلى أن الجراة التي بدت هنا تعتبر جرس يقظة لمن يهيمه الأمر قبل أن تتوّل آخر بدائل جبر الضرر للسقوط وفك كل حبال الثقة نحو المؤسسات القائمة.

وتفاعل مع ما يحدث في ملاعب المغرب من شعارات وتعبيرات، دعا حزب الاستقلال المعارض إلى القيام بقراءة عميقة وواعية لهذه التعبيرات، معتبرا أن اللحظة المجتمعية تتطلب من مختلف الفاعلين والقوى الحية تتبع هذه الظواهر الشبابية بيقظة ومواطنة وحس عال بالمسؤولية، من أجل انتشالها من الانهزامية المستشرية، ومواكبتها بالاحتضان والتأطير الملازم والمسؤول، والتعجيل بصياغة الاختيارات التنموية الكفيلة بضمان الكرامة والأمل في نفوس الشباب.

ولم يتخلف زميله في المعارضة التقدم والإشتراكية عندما دعا إلى "الانتباه إلى هذه التعبيرات، والتقاط ما يقتضيه الوضع من إعادة الاعتبار للفعل السياسي الجاد وللوسائط المجتمعية والمؤسسية، بما يضمن تملك القدرة على احتضان الحركة الطبيعية والصحية للمجتمع واستيعاب مختلف تعبيراتها المشروعة، في ظل الإطار الدستوري والقانوني والمؤسسي، وباتفاق الإصلاح في كنف الاستقرار، وما تتطلبه اللحظة الوطنية أيضا من ضرورة الارتقاء بالأوضاع الاجتماعية لمختلف الفئات المحرومة بما يحرر على وجه الخصوص طاقات الشباب ويطلقها في اتجاهات إيجابية وبناءة".

إن لعبة جماهير الكرة أكثر خطورة لأنها لا تفاوض ولا تلتين ولا تعرف حدودا يجب الوقوف عندها، والتعبيرات المتفاوتة القوة في الكلمة واللحن وطريقة الأداء لا تستوجب قراءتها فقط من الجانب الرياضي البريء بل يمكن إدخالها ضمن تصفية حسابات سياسية خصوصا بعد تبني مضامينها من طرف صفحات محسوبة على جماعة العدل والإحسان وبعض الحسابات الشخصية لشخصيات يسارية.

كما يرى أستاذ علم الاجتماع سعيد بنيس، أن كل هذا جعل المنع الاحتجاجي لم يعد مقتصرًا على شباب أو جمهور أو التراس فريق معين أو محصورا في رقعة جغرافية بعينها، بل صار مشتركا رمزياً يتحدى الحدود السياسية ويحيي تضامن شعوب المنطقة ويتحدى حسابات وتوافقات البنات الرسمية والحكومية من خلال تفاعلات رمزية متحضرة تشكل فيها بلاغة الخطابات الاحتجاجية سلاح التحدي والتغيير.

تحولا مجتمعيا على اعتبار أن التنافس الرياضي في ملاعب كرة القدم أصبح "زريعة" لخلق موقع جديد ونوعي للفاعلية الاحتجاجية الشبابية، كما يرى السوسيوولوجي المغربي سعيد بنيس، لافتا إلى أن هذا التحول يسائل طبيعة ونوعية الاحتجاج الذي يظهر في الملاعب وكيفية مقاربه هوية المحتجين الجسد (الالتراس) مع الأخذ بعين الاعتبار الدينامية السياسية لكل بلد على حدة والمحددات الاجتماعية والثقافية التي أدت إلى هذه الفاعلية الجديدة التي برزت داخل ملاعب كرة القدم وفهم مضمونها في سياق المواطنة الرقمية الجديدة.

تعبيرات فوق العادة

الفراغ الذي عبر عنه أكثر من باحث ورد صداه واقع سياسي يحتاج إلى نخب واعية بالواقع وتعيش بين ثناياها، ولين يعدم رواد الملاعب حيلًا وتيفوهات أخرى للتعبير والتنفيس، فهناك تعبير "ما بغيتونا تقراو، ما بغيتونا نخدمو، ما بغيتونا نواعو"، سكتونا بالفاليوم، جيناكم من لخر، الهدرة طلعت في راسي وغير فهموني"، هذا التعبير الاحتجاجي الجديد يعكس، حسب سعيد بنيس، التداخل بين الشعور بالانتماء إلى المجتمع المغربي وسلوك الفاعلية والرغبة في الانخراط في الدينامية المجتمعية والتأثير في السياسة العامة للبلاد.

ومن جانبها، تساءلت رقية اشمال الباحثة في قضايا الشباب، هل كانت العبارات التي ترفعها الألتراس توجه لجمهور الملاعب أم تبغى اسماعها لخارج أسوار الملاعب لتجيب أن التيفو لم يكن ها هنا إلا أكثر مهارة ابتكارية استباقية لرسم معالم النموذج التنموي الجديد، ويبتغي نقل الحقيقة بكل شجاعة لما عليه نبض المجتمع، وإن كانت مؤلمة وقاسية، كما هي دون زيف أو خداع، مضيفة أن الجمهور الرجائي لم يكن إلا لجنة بكل المواصفات المحددة المطلوبة لأجل صياغة معالم هذا النموذج، متحليا بالحياد والابتكار.

وتقول رقية اشمال، لعل هذه الجراة من الجمهور الرياضي تهمس أيضا برفع الإيقاع عند الجمهور السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي في عمومته، لأن ينقل الحقائق بكل موضوعية مبتكرا البدائل

ما يمكن تصوره، وبإمكانه تغيير رئيس الفريق، إذا لم يرق لهم أدائه. وبلا شك فإن تيفو الغرفة 101، الذي رفعه فصيلا "التراس" الرجاء البيضاوي "إيغلز 06" و"غرين بوز" في ديربي المغرب بين الوداد والرجاء في إياب ثمن نهائي دوري أبطال العرب التي جرت السبت الثالث والعشرين من أكتوبر، يحمل بين طياته رسائل سياسية رغم أنه موجه إلى غريمه الوداد البيضاوي، والذي يمكن إضافته إلى أغاني الرجاء التي أصبحت لها شهرة عالمية، كاغنيتي "رجاوي فلسطيني" و"في بلادي ظلموني". وفي ظل التغطية الإعلامية، طالب التراس الرجاء من "بعض الأقاليم المأجورة التوقف عن بعض التاويلات السياسية الفارغة، كنا ومازلنا وسنظل مجموعات رياضية لا سياسية، فاعملنا نابعة من إرادة تشريف الفريق ثم جمهوره، فريقتنا هو الهدف من تواجدها أصلا وليس حب الظهور ولا الانصياع لجماعات كيفما كانت صفتها".

أما على مستوى التحليل الاجتماعي فالخطاب الاحتجاجي في الملاعب يمثل



بعد شهر مارس 2018، صارت الشعارات الخطابية والمغناة والمكتوبة متضمنة لمنسوب عال من الاحتجاج والمطالب الاجتماعية والسياسية لتحسين أوضاع الشباب



متوسط لا يرقى إلى ما أراده أرويل في روايته. ولا مجال هنا للمهاترات في من له الحق في التعبير عن فئات عريضة من المجتمع، خصوصا وأن النخب السياسية فاحت رائحة فسادها حتى ازكمت الأنوف، وخطاب جل هؤلاء لم يعد يغري الشباب فارتتموا في أحضان كلمات بسيطة تعبر عن جزء من اهتماماتهم ومعاناتهم وعن شكل من أشكال تطلعاتهم.

ولاحظ الأستاذ الجامعي سعيد بنيس أنه بعد شهر مارس 2018، صارت الشعارات الخطابية والمغناة والمكتوبة متضمنة لمنسوب عال من الاحتجاج والمطالب الاجتماعية والسياسية لتحسين أوضاع الشباب المغربي وتتم بلورتها وترجمتها داخل الفضاء الافتراضي.

وقد أثار "التيفو" الرجائي الغرفة 101 في اللقاء الأخير نقاشا واسعا خصوصا وأنه مقبوس من رواية جورج أرويل، حيث ميز المؤلف الغرفة 101 كمكان للقهقير والتعذيب، إذ كان يعذب فيها الناس بالأشياء التي كانوا يخافون منها بشدة.

وردا على تعليقات حول تيفو الرجاء، انتقد التراس الرجاء البيضاوي بشدة كل محاولات تسييس "التيفوهات" التي رفعتها "الالتراس"، إذ حاولت بعض الجهات تقديمها على أنها وعي سياسي بالتعذيب الجماعي، في إشارة إلى "تيفو الغرفة 101" لصاحبها الكاتب البريطاني جورج أرويل.

التيفو العابر للرياضة

حسب لحسن تفروت، أستاذ علوم التربية والسوسيوولوجيا بالمدرسة العليا للإساتذة التابعة لجامعة القاضي عياض بمراتش، أضحت "التيفوهات" و"الفلاند"، المحرك الأساسي للمتعة والفرجة الكروية، بفضل ما تقدمه من صور إبداعية، والتي تتفنن في إنجازها لدرجة أوصلتها إلى العالمية، حيث احتل مثلا التراس "وينرز" المرتبة السابعة

في الترتيب العالمي، فيما جاء التراس "غرين بوز" في المرتبة الحادية عشرة عالميا بل وأصبحت للالتراس عامة قوة تحوّل له التحكم في زمام الأمور، حيث أضحي قوة ضاربة، يصل مداها إلى أبعد

شكلت أناشيد وشعارات الألتراس المغربي في السنوات الأخيرة مجالا خصبا لاهتمام الرأي العام وعمامة الناس وكذلك للملاحظة السوسيوولوجية والمواكبة الإعلامية والمراقبة الأمنية، نظرا لما ينتج عنها من تعبيرات وسلوكيات اعتبرها البعض تجاوزت ملاعب كرة القدم إلى خطوط التعبير عن الوعي السياسي والمعيش اليومي، وقد ظهر هذا الأمر جليا مؤخرا عندما رفعت جماهير الرجاء الرياضي "تيفو الغرفة 101" في المدرجات ما أثار جدلا كبيرا لما يحمله من دلالات تتفوق على المستوى التعليمي لهؤلاء.

محمد تاموني العلوي

تعويا لمواقع الاحتجاج الكلاسيكية (أمام ساحات المؤسسات الحكومية أو في مدينتي الرباط والدار البيضاء)، بل في مواقع تتم من خلالها التشنئة السياسية الفردية والجماعية وتقصص هويات "نضالية" ظرفية.

أكثر من السياسية

لا شك أن الحمولة السياسية التي شحنتها جورج أرويل في "الغرفة 101" تختزل عوالم من الفساد والدكتاتورية والقمع، فهل رافعو هذا العنوان كانوا واعين بما يختزنه من مفردات ومعان سياسية عميقة ومفتوحة على واقع غير محدود بالتاريخ والثقافة والجغرافيا المتعددة؟ سؤال لن يلغي التفاعل الجدي مع تيفو الملاعب.

ويقول لحسن تفروت، بالرغم من أن أغلب أسماء جماعات الألتراس المغربي تفضل علامات إسمية ورموزا تدل على الرجولة والفحولة والقوة والحرب والانتصار والمواجهة، إلا أن السمة الغالبة لجماعات الألتراس هي أنها جماعات لا سياسية، من ناحية أن هذه الجماعات لا تتبنى أيديولوجيا حزبية معينة، كان تنتمي لأحزاب بعينها.

وانتشار أغنية "في بلادي ظلموني" غطى على صاحب الكلمات الذي ربما يكون شخصا واحدا أو أكثر لكن يبدو أنه يعرف هدفه جيدا، ليطرح أحد الباحثين أسئلة تحتاج إلى أجوبة معمقة حول من أوحى بمعاني الأغنية وبفكرة الغرفة 101 ومن عمل على إخراج وتدريب حامله، ومن هي الجهة أو الجهات التي تمول هذه التيفوهات، وما علاقة نادي روطاري أو بعض أعضائه بما يقع داخل الملاعب؟

وبالعودة إلى تيفو الزنزانة 101 الذي رفعته جماهير نادي الرجاء الرياضي في لقاءه مع نادي السواد الرياضي برسم كاس محمد السادس الذي يشرف عليه الاتحاد العربي لكرة القدم، تبقى تلك التساؤلات حسب نفس الباحث، مطروحة بشدة حتى لا تتحول السياسة من إطارها الدستورية إلى الملاعب الرياضية حيث يصعب ضبط جمهورها حينما يندفع إلى خارج الملعب ويأتي على الأخضر واليابس في طريقه. إن جل من يشجع نادي الرجاء مراهقون وشباب مستواهم التعليمي

الرباط - أعطت معاني التيفو الأخير الألتراس لفريق الرجاء للكثيرين الحق في تاويلات تحمل جرعات أكبر مما هو رياضي نحو السياسي ولم لا تحريضي، وهو ما يفسره بعض الباحثين بأن تراجع الأحزاب والنقابات عن أدوارها في التأطير والتنظيم والتثقيف السياسي، جعل الملاعب ساحة لرفع شعارات وترديد أغان فيها حمولة سياسية، وإن أراد أصحابها تخفيفها بالمثمنة الرياضية والتنافس بين الفرق ومشجعها.

المنع الاحتجاجي لم يعد مقتصرًا على شباب أو ألتراس فريق معين، بل صار مشتركا رمزياً يتحدى الحدود السياسية من خلال تفاعلات رمزية متحضرة تشكل فيها بلاغة

الألتراس تعبير عن فئة من مشجعي الفرق الرياضية معروفين بانتمائهم وولائهم الشديد لفرقتهم في ملاعب ومدارج كرة القدم بشكل احترافي، وتستخدم مفردات متعارفا عليها في مجموعاتهم يتواصلون بواسطتها، ودائما مع أصحاب توجه الألتراس إلى التعبيرات السياسية في شعاراتهم وأغانيتهم، ولا بد من التذكير بمشجعي فريق "الجيش" عندما أدوا أغنية "القبيلة في البرلمان"، وصولا إلى أغنية "في بلادي ظلموني" للالتراس الرجاء، التي لاقت انتشارا واسعا داخل وخارج المغرب تعبيرا عن واقع مفتوح على هويات متعددة في بلدان وثقافات أخرى.

في السابق كانت الجماهير الرياضية ترفع لافتات ضد المؤسسات الرياضية، واليوم أصبحت المضامين ذات الحقينة السياسية هي الطاغية في الشعارات داخل الملاعب، كما يرى سعيد بنيس الباحث في علم الاجتماع، مضافا أنه مع تراجع الوساطة المدنية والسياسية أضحت الملاعب تشكل